جوامع الآداب

في أخلاق الأنجاب

تأليف

الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي

مؤسسة قرطبة

طباعة . نشر . توزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الانسان فى أحسن تقويم * وألهمه أن يزكى نفسه بالخلق الكريم * وأفضل الصلاة والتسليم * على من أثنى عليه ربه بأنه على خلق عظيم * سيدنا محمد خاتم النبيين * وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين *

﴿ أما بعد ﴾ فان علم مكارم الاخلاق والشمائل * وتقويم النفوس بمحاسن الآداب والفضائل * من العلوم المهمة * التي هى أساس نجاح الامة * فان على الاخلاق الفاضلة مدار المدنية والعمران * وترقى الانسان * وصلاح البلدان * ونمو مدارك العلم والعرفان * كما أن بالاخلاق السيئة الهلاك والدمار * والخزى والعار * إذ هي السموم القاتلة * والمهلكات العاجلة * والمخازى الفاضحة * والرذائل الواضحة * وقد أرشدت الى الاخلاق الفاضلة الشرائع الالهية * والقوانين الحكمية على الاطلاق * وبعث نبينا صلى الله عليه وسلم ليتمم مكارم الاخلاق *

ولما دوّن في ذلك جليل الاسفار * وجميل الآثار * رأيت أن أجمع في كتاب أهم ما أثر منه عن السلف * وأكمل ما نقل عن الخلف عناية بالنابتة الذين هم أطفال اليوم ورجال الغد * واحتفاظا بما يكسب لهم ولقومهم ووطنهم الفخار والمجد ﴿ وسميته جوامع الآداب في اخلاق الانجاب ﴾ ورتبته على سبعة أبواب، متوجة بمقدمات، ومذيلة بخواتم، ومن الله التوفيق وعليه التكلان *

مقدمـــات

١ - ﴿ معنى الخلـق ﴾

الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معاً * يقال فلان حسن الخلق والخلق أى حسن الظاهر والبـاطن * فيراد بالخلق الصورة الظاهرة * ويراد بالخلق الصورة الباطنة . — وذلك لان الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر * ومن روح ونفس مدركة بالبصيرة * ولكل واحد منهما هيئة وصورة * اما قبيحة واما جميلة : فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدراً من الجسد المدرك بالبصر * ولذلك عظم الله أمره باضافته اليه إذ قال تعالى (انى خالق بشراً من طين فاذا سـويته ونفخت فيـه من روحى فقعوا له ساجدين) فنبه على أن الجسد منسوب الى الطين والروح الى رب العالمين * والمراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد * فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الافعـال بسهولة من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئـة بحيث تصدر عنهـا الافعال الجميلة المحمودة عقـلا وشرعاً — سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً * وان كان الصادر عنها الافعال القبيحة — سميت الهيئـــة التى هي المصدر خلقاً سيئاً (١)

---

(١) الغزالى

٢ - ﴿ قبول الأخلاق للتغير بطريق الرياضة ﴾

يزعم بعض من يستثقل المجاهدة والرياضة : أن الاخلاق لا يتصور تغييرها : ولو صح ذلك لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات * وكيف ينكر هذا في حق الآدمى وتغيير خلق البهيمة ممكن * إذ ينقل البازى من الاستيحاش الى الانس * والكلب من شره الأكل الى التأدب والامساك والتخلية * والفرس من الجماح الى السلاسة والانقياد . وكل ذلك تغيير للاخلاق فأجدر بالانسان أن يتغير بالرياضة خلقه — وذلك بأن لا يقهر هواه العقل ولا يغلبه * بل يكون العقل هو الضابط له والغالب عليه وذلك ممكن فانه ربما يستولى الغضب على المرء بحيث لا يقوي على دفعه وبالرياضة يعود الى حد الاعتدال — وهو المراد بتغيير الخلق فدل أن ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لا شك فيها (١)

٣ - ﴿ مفتاح السعادة تربية الأفراد على العلم والعمل ﴾

قال حكيم : لما كان شرف الانسان بالقوة المدركة * لزم تهذيبها لتكف صاحبها عن المساوىء وتدفعه الى المحاسن * فتتمهد أمامه مسالك الحياة * وتتوفر له أسباب السعادة فيعيش في الرغد والهناء * وإلا تسلطت عليه المساوىء * وانغمس في الشهوات * وضل عن سبيل

---

(١) الغزالى

الالفة والتحاب . وأنس بالجهل واستطاب الخمول * ومن الثابت أن المرء اذا حسنت تربيته ، وتم تهذيبه * كانت أعماله قويمة وأخلاقه مستقيمة* واذا فسدت تربيته انعكست أعماله * وساء خلقه * وسعادة مجموع الامة متوقفة على تربية الافراد * فاذا تهذب الافراد وتربوا على الفضائل وأخذوا بأصول الدين تهذب المجموع وصاروا أعضاء جسم واحد وخير التربية ما كان من حال الصغر * إذ يكون الانسان مستعداً بالفطرة لقبول الخير. وتقويم أود النفس * كالغصن اللين في مبدأ نموه اذا قومته استقام * لهذا كان من الواجب القيام بتربية الاطفال وتلقينهم دروس الآداب والحكمة منذ نعومة الاظفار *

٤ - ﴿ حاجة العلم إلى الأخلاق الفاضلة ﴾

الرجال بالاعمال . والاعمال آثار الصفات والاخلاق. وبذلك يتفاضل الناس لا بالعلوم وحدها أو إجازات المدرسين أو شهادات المدارس فحسب * وذلك لان العلم وحده لا يكفي لجعل الرجل عظيما في قومه . نافعا لامته ووطنه * فان العلم آلة تديرها الاخلاق . فاذا كانت أخلاقه فاسدة كان علمه كالسيف في يد المجنون يضرّبه ولا ينفع* فالرجل لا يكون عظيما الا بعلومه الكاملة . وأخلاقه وأعماله الفاضلة . (١) وبالجملة فيجب أن يعلم أن الانسان وان كان هو بكونه إنساناً أفضل موجود فذلك بشرط ان يراعى ما به صار انساناً وهو العلم الحق .

---

(١) لحكيم شريف بزيادة

والعمل المحكم * فبقدر وجود ذلك المعنى فيه يفضل ولهـذا قيل (الناس أبناء ما يحسنون) أى ما يعرفون ويعملون من العلوم والاعمال الحسنة . (١)

الباب الأول : أدب النفس

كل من أعار الوجود نظرة البصـير علم أن حاجة المرء الى تأديب نفسه لا تفوقها حاجة لان الانسان إلى الشر أميل منـه الى الخير والى الشهوات النفسية منه الى الكمالات الروحية فكان من المحتم العناية بتهذيب خلقه . وتحليته بالمحاسن والفضائل وتطهير نفسه من المساوىء والرذائل فيصبح محمود الاقوال والافعال مثالا للفضيلة والكمال . وهاك شذرة مما يلزمك أن تتخلق به من آداب نفسك :

عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به ، لا تستخفن بفاضل شريف ، لا تميلن الى سخيف ، لا تقولن هجراً لئـلا يسقط قدرك ، لا تفعلن نكراً لئـلا يقبح ذكرك ، إياك وفضول الكلام فانه يظهر من عيوبك ما بطن ، ويحرك من عدوك ما سكن ، فكلام الانسان بيان فضـله ، وترجمان عقله ، فاقصره على الجميل ، واقتصر منـه على القليل ، وإياك وما يستقبح من الكلام ، فانه ينفر عنك الكرام ، ويوثب عليك اللئام ، اياك واللجاج فانه يوغر القلوب ، وينتج الحروب ، فاقتصر من الكلام

(١) الذريعة للاصفهاني

على ما يثبت حجتك ، ويبلغك حاجتك ، ومن قال بلا احترام ، أجيب بلا احتشام ، لا تعود نفسك الا ما تحظى بأجره ، وتحمد على ذكره واياك ومحاجة من يملكك قهره ، وينفذ فيك أمره . يستدل على رزانة الرجل بقلة نطقه ومقاله ، وعلى فضله بفضل علمه واحتماله ، فأكرم اخوانك ، واكثر خلانك ، واكفهم لسانك ، فطعن اللسان أنفذ من طعن السنان ، تعام عما تسوؤك رؤيته ، وتغاب عما تضرك معرفته ، ولا تشر على من لا يقبل منك ، ولا تجب عما لا تسأل عنه ، واذا عاتبت فاستبق ، واذا صنعت معروفا فاستره ، واذا صنع اليك فانشره واذا أذنبت فاعتذر ، واذا أذنب اليك فاغتفر ، فالمعذرة بيان العقل والمغفرة بيان الفضل ، لا تزهد فى رجل عرف فضله ، وجرب عقله ، ولا تعن قوياً على ضعيف ، ولا تؤثر دنيا على شريف ، ولا تشر بما يعقب الوزر والاثم ، ولا تفعل ما يقبح الذكر والاسم .

كرم نفسك وعرضك من مضاحكة المجان والمساخر ، ومن لا يبالى بما يقابل به من ضروب الاستخفافات التى تلحقه فهو من شرار الناس . واحفظ لسانك من المزاح والسخرية والاستهزاء بالناس فان ذلك يريق ماء الوجه ويسقط المهابة ويستجرّ الوحشة ويؤذى القلوب ، وهو مبدأ اللجاج والغضب والتقاطع ، ويثير الحقد في القلوب ، إلق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير مذلة ولا هيبة منهما ، وتوقر من غير كبر وتواضع من غير مذلة ، ليكن ضالة عقلك التي ينشدها ونجعته التى يرتادها الحق فاحكم به ولو على نفسك ولا تكن ممن تأخذه العزة بالاثم

فلا يصغى الى الحق لكونه صدر عمن هو أدنى على مايعتقد ، بل العاقل ياخذ الحكمة حيث وجدت وليس في الحق صغير ولا كبير ولا تحاب صديقك في الحق فان الحق أجدر بالصداقة منه *

اجتهد في محو الخرافات (١) والاوهام والتصورات الباطلة فانها تفسد الملكات وتدل على الجهل بحقائق الامور واطرح المبالاة بكلام الناس لما تتوخاه من الحق فان السلامة من طعن الناس غاية لاتدرك ومن راض نفسه على السكون الى الحق وتبين أن ألمه في أول صدمة كان اغتباطه بذم الناس اياه أشد من اغتباطه بمدحهم له ، ومن لاعدو له لاخير فيه، ولا منزلة أسقط ممن لاعدو له لانها منزلة من ليس لله تعالى عنده نعمة يحسد عليها عافانا الله*

لاتقبل سلطة فكرة الا بعد فحص دقيق فان كل ماأبطل ببرهان ضرورى فليس بحق * وكل ماثبت ببرهان فمعارضته شغب فاجتنبها وليكن مرجعك الى الحق ومنزعك الى الصدق فمن أضعف الحق وخذله أضعفه الباطل *

عليك بالنشاط في العمل وترك البطالة والكسل ولا تكن كلا على غيرك فان الرجل كل الرجل من يأكل من كسبه ويشرب من ورده

أقدم على جلائل الاعمال مع الصبر والثبات واحمل نفسك على معالى الامور والتشبث باحسن الاعمال والامور العظام والتهاون لنيلها

---

(١) جمع خرافة ويراد بها كل ماناقى الدين الصحيح او الواقع أو مالا يقبله العقل السليم

بالآلام فان الكسل من النقائص التى توجب الخسائس والشرور وتدل على ضعف فى ادراك صاحبها وحطة فى نفسه ومن رضى بالدون التحف بالخمول وفاتته معالى الامور وآذن بصغر نفسه وقصر همته وضعف غريزته وقد قيل (اذا رقدت النفس في فراش الكسل استغرقت في بحر الحرمان) لاترغب فى سرعة العمل وارغب فى اتقانه ولا تؤخرن عملا عن وقته فان الوقت الذي تؤخره له عمل واست تطيق ازدحام الاعمال فانها اذا ازدحمت دخلها الخلل * ولتكن أوقاتك عندك كلها ربيعاً فالوقت من أسمى مواهب الخالق التى لايمكن استعادتها متى فاتت فلا تتصرف فيه بما يؤسفك على فواته ، من هم أقل منك معرفة وأدنى درجة ينبغي أن لا تكثر معهم اللجاجة ولا تخالطهم الا بقدر الحاجة احذر من صحبة الفارغ فانه يفتك بوقتك ولا فتك الوباء فالمخالطة تؤثر والطبع سراق * فاصحب الخيار * وما وراء كثير من اللغو الا اضاعة الوقت سدى وقطع مراحل الحياة على غير هدى *

الوقت الذى تمضيه في أداء الواجبات الاجتماعية ليس بوقت ضائع لان حب الغير ومعاونته والعمل على نشر العلم وتقليل وطأة الفاقة كلها من دلائل السعادة *

التزم وظيفة من الجزء النظرى والعملى لاتخل به البتة * ولتجرى النفس مجرى الرياضة التى تلزم في حفظ صحة البدن * وأطباء النفوس اشد تعظيما لها فى حفظ صحة النفس وذلك لان النفس متى تعطلت من

النظر وعدمت الفكر والغوص في المعانى تبلدت وتبلهت وانقطعت عنها مادة كل خير واذا ألفت الكسل وتبرمت بالروية واختارت العطلة قرب هلاكها ، لان في عطلتها انسلاخاً من صورتها الخاصة بها ورجوعاً منها الى رتبة البهائم وهذا هو الانتكاس في الخلق نعوذ بالله منه * واذا تعود الحدث الناشيء من حداثته الارتياض بالامور الفكرية واحتمل ثقل الروية والنظر وأنس بالحق ونبا طبعه عن الباطل وسمعه عن الكذب حتى اذا بلغ أشده وانتقل الى مطالعة الحكمة استمر طبعه فيها وتشرب مايستودع منها فوصل الى سعادتها *

احرص على سعادة غيرك فان اجتهادك في إسعاد غيرك إسعاد لنفسك وقصر جهدك على إسعادك لنفسك إشقاء لها وذلك لانه اذا سعى كل في نفع غيره توفر النفع للجميع واذا سعى كل لمجرد نفع نفسه أضر بغيره فتوفر الضرر للجميع *

عليك بترتيب أعمالك وأوقاتك فان الترتيب فضيلة تحمل صاحبها على الاهتمام والعمل بما رتبه لنفسه ، وهي تنشط النفوس وتريح البال ويكون صاحبها مستجمعاً لفكرته محافظا على وقته * عليك أن تنام باكراً وتستيقظ من السحر فتؤدى العبادة المفترضة وتأخذ في التهيؤ للدرس بالمطالعة والحفظ ولاتشتغل بالمباحث التى لاشيء فيها الا الحيرة * اقرأ من المجلات والصحف السيارة ماتبلغه قدرتك ولاتغادر منها حرفاً فالبصير البصير بزمانه ، واعتن بفحص كل الامور صغيرها وكبيرها *

لاتفرح إلا بما تأتيه من جليل الاعمال فان النفس اذا كبرت استشعرت الخلود فعملت من الجميل مايبقى على الازمنة المتطاولة واذا نقصت لم تحفل بمستقبل من الازمنة ولابجميل من الفعل فآثرت عاجل الانتفاع على آجل الذكر * ضن بالحكمة عن بثها لمن لايدريها وصن درر المعانى عن ابتذالها فان ماتألفه ألسن الغوغاء يذهب منه رونقه *

إلق عدوك وصديقك بوجه طلق * واعط كل ذى منصب حقه من التعظيم ولاتعظم جاهلا فان تعظيم الجاهل تقوية له على الجهل ولاتحضر مجلساً يبخس فيه حق الكريم ويكرم اللئيم ولاترض بأن تنزل منزلة لست لها بأهل فانه ليس شيء أضر على الدين والدنيا من تصدر غير الاهل في مكان الاهل * ليكن مجلسك هادئاً وحديثك موزونا مرتبـــا واذا جلست فلاتستوفز وتحفظ من تشبيك أصابعك وفرقعتها والعبث بشاربك ولحيتك وخاتمك وتخليل أسنانك وادخال أصبعك في أنفك وكثرة بصاقك وتنحنحك والتمطي والتثاؤب في وجوه الناس في الصلاة وغيرها * اصغ الى الكلام الحق ممن حدثك من غير اظهار تعجب مفرط ولاتسأله اعادته * واسكت عن المضاحك والحكايات * لاتحدث عن إعجابك بولدك وشعرك وكلامك وتصنيفك وسائر مايخصك * اذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وتفكر في جهتك *

لتكن سهل اللقاء والبشاشة ولو في حال المرض وبادر بالتحية والبشر من تلقاه * واكتم بؤسك واجعل شكواك لمن يقدر على غناك ولاتحضر

منازعة فانك لاتخلو من قسط من أذاها ولو بالمطالبة بأداء الشهادة * إياك والانبساط فانه عورة من عوراتك فلاتبذله إلا لمأمون عليه حقيق به * لاتتصنع تصنع المرأة في التزين ولاتتبذل تبذل العبد * ولاتلح فى الحاجات ولاتشجع أحداً على ظلم * لاتعلم أحداً من أهلك وولدك فضلا عن غيرهم مقدار مالك فانهم ان رأوه قليلا هنت عليهم وان رأوه كثيراً لم تبلغ رضاهم قط * واجفهم من غير عنف ولن لهم من غير ضعف * ليكن لك فضل عزلة فان كثرة الخلطة مجلبة الابتذال *

اصغ لمن ينتقد عليك واهجر لمن يطريك بما ليس فيك فان من أظهر عيبك أراد تهذيبك ومن عرفك نقصك أرشدك للفضيلة ولاتغتر بمن يطريك ولما تبلغ الكمال * اذا يئست من التغلب على منـــاوئك فاسلك معه سبيل المحاسنة دفعا للشر بالمحاشنة فليس من الحزم أن تصارع القوي وأنت ضعيف وتكافح الكي وأنت أعزل وتعـاكس مجرى الظروف وطبيعتها ماترى *

ومما يروى عن على عليـه السلام (إياك وفعل القبيح فانه يقبح ذكرك ويكثر وزرك * إياك والغضب فأوله جنون وآخره ندم * إياك أن ترضى عن نفسك فيكثر الساخط عليك * إياك ومصادقة الاحمق فانه يريد أن ينفعك فيضرك * إياك ومصادقة البخيل فانه يقعد بك أحوج ماتكون اليه * إياك والسـفه فانه يوحش الرفاق * إياك والعجل فانه مقرون بالعثار * إياك والبطنة فمن لزمها كثرت أسـقامه وفسدت أحلامه * إياك والاعجاب وحب الاطراء فان ذلك من أوثق فرص

الشيطان * اياك ومستهجن الكلام فانه يوغر القلوب . اياك ومذموم اللجاج فانه يثير الحروب * اياك ان تستسهل ركوب المعاصى فانها تكسوك فى الدنيا ذلة وتكسبك فى الآخرة سخط الله)

(عليك بالحكمة فانها الحلية * عليك بالحياء فانه عنوان النبل * عليك بالسخاء فانه ثمرة العقل * عليك بالاناة فان المتأنى حرى بالاصابة * عليك بحسن الخلق فانه يكسبك الكرامة ويكفيك الملامة * عليك بلزوم الحلال وحسن البر بالعيال * عليك بالصدقة تنج من دناءة الشح * عود نفسك الجميل فانه يجمل عنك الاحدوثة ويجزل لك المثوبة * عود نفسك حسن الكلام تأمن الملام)

(كن بالوحدة آنس منك بقرناء السوء * كن للمظلوم عونا وللظالم خصما * كن للود حافظا وإن لم تجد محافظا * كن بطيء الغضب سريع الفيء محبا لقبول العذر * كن مؤاخذاً نفسك مغالبا سوء طبعك وإياك أن تحمل ذنوبك على ربك * كن بأسرارك بخيلا ولا تذع سراً أودعته فان الاذاعة خيانة * كن حسن المقال جميل الافعال فان مقال الرجل برهان فضله وفعاله عنوان عقله * كن صموتا من غير عي فان الصمت زينة العالم وستر الجاهل * كن بعدوك العاقل أوثق منك بصديقك الجاهل * كن متصفا بالفضائل مبرأ من الرذائل)

(لاتأس على مافات * لاتقولن مايسوؤك جوابه * لاترغبن في مودة من لم تكشفه * لاتزهدن في شيء حتى تعرفه * لاتضمن مالم تقدر على

الوفاء به لاتخبر بما لم تحط علماً به لاتأمن البلاء فى أمنك ورخائك . لاتعدن شراً ماأدركت به خيراً . لاتعدن خيراً ماأدركت به شراً * لاتتكلم بكل ماتعلم فكفى بذلك جهلا * لاتمسك عن اظهار الحق اذا وجدت له أهلا * لا تنظر الى من قال وانظر الى ماقال لاتستكثرن العطاء وان كثر فان حسن الثناء أكثر منه * لاتمازح الشريف فيحقد عليك ولا تلاح الدنيء فيجترىء عليك لاتظن بكلمة بدرت من أحد سوءا وأنت تجد لها في الخير محتملا * لاتعدن صديقاً من لايواسى بماله لا تعدن غنيا من لم يرزق من ماله لاتزدرين العالم وان كان حقيراً لاتعظمن الاحمق وان كان كبيرا * لاتسر عن الى ارفع موضع فى المجالس فان الموضع الذى ترفع اليه خير من الموضع الذى تحط عنه * لاتفرحن بسقطة غيرك فانك لاتدرى مايحدث بك الزمان * لاتغترن بالامن فانك مأخوذ من مأمنك لاتبهجن بخطأ غيرك فانك لم تملك الاصابة أبدا * لاتتبعن عيوب الناس فان لك من عيوبك ان عقلت مايشغلك أن تعيب أحدا * لاتعود نفسك اليمين فان الحلاف لايسلم من الاثم لاتعود نفسك الغيبة فان معتادها عظيم الجرم * لاتيأس من الزمان اذا منع ولاتثق به اذا أعطى * كن على أعظم الحذر * لايؤنسنك الا الحق ولا يوحشنك الا الباطل * لاتخل نفسك من فكرة تزيدك حكمة وعبرة تفيدك عصمة * لاتسىء الخطاب فيسوءك الجواب * لاتحارب من يعتصم بالدين فان مغالب الدين محروب (١) لاتغالب من لم يستظهر بالحق

(١) فى القاموس حربه حربا كطلبه طلباً سلبه ماله فهو محروب

فان مغالب الحق مغلوب لا تجهل نفسك فان الجاهل بنفسه جاهل بكل شيء * لا تستعمل الرأي فيما لا يدركه البصر ولا يتغاغل اليه الفكر لا تنابذ عدوك ولا تقرع صديقك * واقبل العذر وان كان كذبا * ودع الجواب عن قدرة وان كان لك * لا تترك الاجتهاد في اصلاح نفسك فانه لا يعينك عليها الا الجد لا تضيعن حق أخيك اعتماداً على ما بينك وبينه فليس لك بأخ من أضعت حقه * لا تكونن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً * لا تكثر الضحك فتذهب هيبتك ولا المزاح فيستخف بك لا تكثرن العتاب فانه يورث الضغينة ويدعو الى البغضاء * لا تكثرن الخلوة بالنساء فيملنك وتملهن * واستبق من نفسك وعقلك بالابطاء عنهن * لا تكن فيما تورد كحاطب ليل وغثاء سيل * اقبل النصيحة ممن نصحك وتلقها بالطاعة ممن حملها اليك * واعلم أن الله سبحانه لم يمدح من القلوب إلا أوعاها للحكمة ومن الناس الا أسرعهم الى الحق إجابة)

الباب الثانى : أدب الدرس وفيه مطالب

١ - ﴿ المدارس وأساتذتها ﴾

لا يخفى أن الغاية من تشييد المدارس هى نشر العلوم والمعارف واخراج الناس من ظلمة الجهالات الى نور الهداية والعرفان وإيجاد

الملكات الصالحة فى الصغار وتنمية العواطف الدينيـة وتقويتها فيهم وتأهيلهم علما وعملا للجهاد فى هذه الحياة واخراجهم منها وقد ربى فيهم الكمال الروحانى والتعبد الدينى والذوق السليم وحب المعرفة وتمكنت فيهم ملكة البحث والاستدلال وقوى فيهم الميل الى مطالعة سير العظماء وما أتوا من عظيم الافعال فمن أخص واجبات معلميهم والحالة هذه أن يكونوا قدوة حسنة لهم وأن يقووا فيهم وهم فى بدء نشأتهم حب العمل وامتلاك النفس والصبر والثبات والشجاعة وأن يربوهم على احترام كل عظيم وحب الحق والعدل والعفة والصدق وكرم الخلق حتى يكونوا أعضاء حية نافعة في جسم المجتمع الذي يعيشون فيه

٢ - ﴿ أدب المعلم والمربى ﴾

المعلم — وهو الاستاذ والمؤدب والمربى : إنسان أكملته التربيـة يحاول أن ينقل صورته ونظام أحواله الى غيره ليكون خلفا منه فلم يمنح حق سياسة التهـذيب لاظهار جلاله ورغبة فى تعظيمه ولـكن ليدير شؤون تلامذته ويبحث عن الطرق المهمة لافادتهم* فمن أهم آدابه التواضع ومجانبـة العجب فان التواضع عطوف والعجب منفر وأن يدع التكلف لما لا يحسن وأن لا يستنكف من تعلم ما ليس عنده وأن يستقل ما أوتيه ليستزيد وأن لا يتصنع بما أدرك وأن لا يجهل من نفسه مبلغ علمها ولا يتجاوز بهـا قدر حقها وأن يكون من شيمته العمل بعلمه

وحث النفس على أن تأتمر بما يأمر به ، وان يكون في مشيه وسكونه واشارته بالتحية وفي منظره اذا تبسم ، وفى منطقه اذا تكلم مايشير الى وقاره وكمال عقله ، وحسن خلقه ، سيما فى المجامع والمحافل ، وان لاينقطع عن العلم الى العمل ، فان نوم العالم خير من عبادة الجاهل ، وان لايبخل بتعليم مايحسن ، ولا يمتنع من افادة مايعلم فان البخل به لؤم وظلم ، والمنع منه حسد وائم * وفي التعليم زيادة العلم ، واتقان الحفظ ، وان يقرأ من متون كل فن ابلغها عبارة ، واجمعها قواعد ، واوضحها مقاصد * وان يقصد التآليف القديمة لانها اسهل موردا واغزر مادة ، مع خلوها من التعقيد ، وبعدها عن المشاغبات اللفظية * وليترك الكتب الحديثة للمنقطعين لفهمها بدون مال ولا حساب للوقت *

وان يتجنب منها ماهو كالالغاز والاحاجي ، وما يحوج الى عناء فى حل تراكيبه وعلله * وان ينظر فى الشروح المطولة والحواشى نظرة المطالع تقوية للفهم لاقصد الدراسة ، ضنا على الزمن ان يصرف في موضوع واحد يفوته من جرائه فنون شتى * وان ينقب طول حياته عن أهم المؤلفات واقربها فائدة وابدعها اسلوبا * فاذا ظفر فليسع بطبعها رجاء تعميم نفعها ، وان ينظر في شؤن تلامذته ، ويمهد لهم سبيل المجد والارتقاء * وان يكون لهم مثال العقل ونموذج الوقار والصلاح * وان ينصح لهم ، ويرفق بهم ويبذل المجهود في رفدهم ومعونتهم ، وان لايحقر ناشئا ، ولا يستصغر مبتدئا ، ولا يعنف

متعلما . وان يوجه ذهن الطالب الى تعقل المسائل وفهم المعانى من أقرب الوجوه ، متجنبا الاحتمالات البعيدة وتكلف التعاسيف ، وأن يحضر درسه قبل القائه فيراجع مايحتاج لمراجعته من الكتب لتصحيح الفاظ وتحقيق بحث ، وان لايأتى للطلبة فى أثناء الدرس بما يشوش الفهم ، فلا يغرب بالاكثار من الاعتراضات اللفظية والجواب عنها بالاحتمالات فان ذلك مضيعة للاوقات * وأن لايخلط مسائل علم بمسائل علم آخر الااذا جاء عرضاً وتوقف عليها فهم المقام ، وان لا يمنع طالبا ولا يؤيسه ، لمافي ذلك من قطع الرغبات ، وان يمرنهم على المناقشة فبها يصل المتعلم إلى المطلوب * قال بعضهم . وهي طريقة سقراط ، وتسمى طريقة التحاور ، — وهي أن لا يلقن المعلم الطلبة ما يريد من الاحكام والمسائل ليحفظوها عن ظهر قلب أو يقلدوه مجرد تقليد في فهمها ولكن لا يزال معهم في أخذ ورد وبحث وتمثيل ، حتى يصل بهم الى ما يريد * وان يمرنهم أيضا على القدرة على التعبير عما يدركونه بعد ايضاح الموضوع لهم ايضاحا تاما * وان يمرنهم على اثبات المدعى بالبرهان الصحيح الثابت الذى لا يقبل النقض لتجرى نفوسهم فى حركة المعقولات ، ويحيى فيها قوة التأمل والتعقل حتى تصير ملكة راسخة * وان يقتلع جذور التعصب من قلوب المتعلمين ، ويحببهم الى الانصاف ، فان التعصب سبب تفريق الناس بعضهم عن بعض ، وجذوة حجب العقول عن الحق . والانصاف راحة لانه يرفع الخلاف ويوجب الائتلاف

٣ - ﴿ أدب المتعلم ﴾

من أهم آدابه أن يسترشد بمعلم خبير ناصح حكيم. سمح بعلمه. متأن في تعليمه * وأن يرغب في العلم رغبة متحقق بفضائله واثق بمنافعه * وأن يكون الباعث له طلب مرضاة مولاه والعمل بوصاياه * وان لا يطلبه لمراء أو رياء. فان المماري به منبوذ لا ينتفع. والمرائي مرذول لا يرتفع * وأن يبتدىء بأوائل العلوم ليتدرج الى آخرها * ومن لم يحسن البداية وساوى ذوى النهاية * يرى فى لغط مضل أو غلط مذل وكان ممن رضى بخداع نفسه * وقنع بمداهنة حسه * وان لا ينى فى طلبه * وأن ينتهز الفرصة به * فربما شح الزمان بما سمح. وضن بما منح * وأن لا يدعوه ما استصعب عليه الى تركه * فان ذلك مطية المقصرين * وان يكثر من المذاكرة ليستفيد ما لم يعلم * ويحفظ ما علم. وان لا يؤيسه تبلد ذهنه ونبو فطنته * فان الدأب يذلل الصعاب ويدك الهضاب * وان لا يلهيه عن طلبه كثرة مال وجده ولا نفوذ أمر وعلو منزلة فان من نفذ أمره فهو الى العلم أحوج وان لا يمنعه كبر سنه وتقصيره في صغره عن الجد في اعلاء منزلته بالتعلم في كبره * وان لا تصده شؤون كسبه عن أخذ حظ منه * وان تكون سيرته الشخصية ملائمة لشرف العلم والدين * وان يحرص على كتابة كل ما يسمعه من تحقيق في بحث * وحكمة فى تشريع * ونكتة

غريبة في بابها * وقصة بديعة كما كان عليه السلف[1] وخلدوا لهم بذلك ذكراً لا ينسى * وان يعتني باجادة خطه * وبملكة سرعة القلم . وحفظ الكتابة من التحريف * وان يصحب معه على المدى مذكرة (دفتراً) فى جيبه * ليكتب خواطره ونفيس ما يسمعه من أي شخص كان * فان اهمال الفوائد خسارة كبرى « والعلم صيد والكتابة قيده »

٤ - ﴿ أدب المتعلم فى درسه ﴾

عليه ان يكدّ في النظر نفسه ، وان يكثر من المقروء درسه * وان لا يضجر من معاناة الحفظ ومراعاته . وان لا يغفل عن تقييد نفائسه بالكتابة ثقة بما استقر فى ذهنه * فان الشك معترض والنسيان طاري * وان يبحث عن الحقائق * ويربى قوة حركة فكره فى المعقولات لينمو عنده الشغف في العلم * ومن أهم ما يوصى به الثبات والصبر * وعدم التقلب والتضجر * وكل عمل في الوجود فهو محتاج للثبات بنسبة ما فيه من المشاق ، وما يحول دونه من العوائق التى لا يزيلها إلا المثابرة عليه والثبات له ، فان الدنيا ميدان تتسابق فيه الهمم ، وتتبارى عليه الأمم ، فمن سبق فاز بالحسنى وكانت يده فى

---

(١) نقل العلامة الزمخشري في تفسير قوله تعالى « وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة » عن أبي حاتم السجستاني انه كان يكتب عن الاصمعي كل شيء يلفظ به من فوائد العلم حتى قال فيه : أنت شبيه الحفظة تكتب لفظ اللفظة : فقال أبو حاتم وهذا أيضاً مما يكتب اهـ